

إشكالية المركزية البيولوجية وإحترام الطبيعة في فلسفة بول تايلور

**the problem of biological centrality and respect of nature
from the vision of paul taylor**

بوعبدالله حميدة¹

¹ جامعة الجزائر 2 (الجزائر)، -bouabdallah.hamida@univ-

alger2.dz

تاريخ الاستلام: 2023/11/14 تاريخ القبول: 2024/02/25 تاريخ النشر: 2024/03/03

ملخص: إن الإنسان الأداتي الذي راح يستعمل تلك التقنيات العلمية التي أنتجتها الحداثة، بطريقة لا عقلانية وبحكم أنانيته راح يتعدى على حقوق الكائنات غير البشرية، فلم تعد تربطه مع هذه الطبيعة سوى علاقة سيطرة وإستغلال بشع، هذا ما سارع من وتيرة ميلاد أزمات بيئية تهدد كيانه ونظام حياته، كالإحتباس الحراري ونقص المياه، الأوبئة البيئية وإنقراض الحيوانات، وغيرها.

مع زيادة تضخم هذه الأزمات البيئية، وإتساع الهوة العلاقة بين الإنسان والطبيعة، برزت تيارات فلسفية، تناقش هذه الإشكالات المعاصرة وتسعى لإعادة إصلاح تلك العلاقة، حيث تنادي بإحترام الكائنات غير بشرية وإحترام حقوقها، لكونها عضو أساسي في مجتمع الأرض، فالعيش في وفاق مع الطبيعة هو الرهان الذي سيحيي الإنسانية من المخاطر الإيكولوجية التي تهدد مكانته في الوجود، ومن الفلاسفة الذين تناولوا هذه الإشكاليات البيئية نجد الفيلسوف الأمريكي " بول تايلور paul taylor (1923. 2015) " الذي يؤسس لفكرة المركزية البيولوجية للإنسان من جهة وإحترام الطبيعة من جهة ثانية.

كلمات مفتاحية: بول تايلور. المركزية البيولوجية. حقوق الكائنات الحية. الطبيعة. الإحترام

Abstract: The instrumental human, being to whom products of modernity, have achieved progress and development, he exploited his technological capabilities to exercise sovereignty and rule over nature, which feared in ancient time, the relationship between him and nature, changed from one of harmony to irrational exploitation .

This contributed to the birth of environmental crises that threaten human life and express the death of this moral spirit

So, we ask : what is the solution and bet , that paul taylor proposes to this crises which has an ethical and environmental dimension?

Keywords: .The instrumental people .paul taylor . environmental crises . rights of other beings . the principles of nature

***المؤلف المرسل: حميدة بوعبدالله**

1. مقدمة

تزايد في الأونة الأخيرة الحديث عن ما يسمى " أزمة البيئة ecological crisis ، ولعل الدافع لذلك هو التغيرات الكبرى التي طرأت على الوسط البيئي، والذي أصبح يهدد بقاء الثروة الحيوانية و النباتية، ولا سيما حياة الإنسان، فهذا الخطر الحادق بالكائنات الحية يعتبر أزمة حقيقية تهدد الوسط الذي نعيش فيه، ويعتبر الإنسان الفاعل الأول والأخير في نشأة هذه الأزمة، بحكم التطورات التقنية و البيولوجية و التكنولوجيا التي تتدخل في حياة الحيوان و النبات، و كذلك الإنسان و في تطورها و تغييرها كما تشاء، على غرار بعض العوامل الطبيعية الأخرى.

هذه الأزمة كانت محل نقاش وإهتمام الكثير من فلاسفة الأخلاق المعاصرين، الذين سعوا للتشخيص والتنقيب عن مسببات هذه الصراعات الإيكولوجية، حيث ظهرت الإيكولوجيا " علم البيئة " كروية فلسفية تتمحور مهامها في دراسة العلاقات المتبادلة بين عناصر كوكب الأرض، أو بين الكائنات الحية و البيئة التي تعيش فيها، خاصة أثناء حدوث خلل أو اضطراب أو تصدع في العلاقات الداخلية للنطاق

الإيكولوجي ، ولعل الحاصل في الآونة المعاصرة هو ذلك الخلل الذي يكمن في تحولات علاقة الإنسان بالطبيعة من علاقة وفاق و إنسجام، إلى علاقة إستغلال و صدام ، فصارت الطبيعة كأنها عدو الإنسان وحليفها اللذوذ، وهذه الطفرة الحاصلة تزداد يوما بعد يوم، لذلك مثلت هاجس للإنسان المعاصر، حيث تواجهه حالات إنقراض للثروات النباتية و الحيوانية التي يحتاجها في حياته، فهذا الواقع المؤسف يحتاج إلى إعادة خلق روابط الإنسان مع ما يحيط به، وكان ذلك ما سعى إليه الفيلسوف الأمريكي بول تاييلور من خلال وضع رؤية أخلاقية بيئية جديدة، تؤسس لمجموعة من القواعد التي من شأنها أن تصلح العلاقة المتوترة بين الإنسان والطبيعة، وتعيد المياه لمجاريها الحقيقية، فكانت هذه الرؤية وليدة الإستشكال التالي: هل يمكن إعادة الإعتبار الأخلاقي للكائنات غير بشرية ؟ كيف يمكن تجاوز المركزية الإنسانية؟ وماهي البدائل ؟ وهل هناك قواعد ومبادئ أخلاقية عقلانية يمكنها أن تغير رؤية الإنسان لبيئته و تقلل من أنانيته وتعترف بالآخر وحقوقه ، وتلتزم بالمسؤوليات اللازمة تجاهه؟ نهدف من خلال هذه الدراسة البحثية إلى الكشف عن أهم النظريات البيئية المعاصرة التي تساهم في معالجة الأزمات البيئية المتضخمة، وضرورة إلزام الجنس البشري بمبادئ إحترام الطبيعة، من أجل حمايتها وحماية مستقبله، أما المنهج المعتمد فهو المنهج التحليلي الذي يتجلى من خلال تشخيص طبيعة العلاقة بين الإنسان و الآخر البيئي، و تحليل أهم المبادئ التي تحكمها وإستثناءاتها.

1 - رؤى فلسفية في الأخلاق البيئية :

إن الأزمة البيئة غدت تعلقو شاشات الوسائل الإعلامية كل يوم، حيث يذكر التلوث بأنواعه، الأعاصير و الفيضانات، الإحتباس الحراري، الجفاف و التصحر، التماذي في إستغلال الموارد الطبيعية و إستنزافها، تفاقم أزمة نقص المياه ، إتلاف الحرائق ، إنقراض و هجرة الأنواع الحية، كل هذه النماذج قد أثبتت التقارير البحثية المعاصرة ، أنها ناجمة عن ممارسات البشر وآثاره ، وهذا ما أهل الأزمة البيئية لتصبح

موضوع نقاش عالمي يتسع و يقتحم ميادين الإعلام و المؤتمرات و غيرها، وقد نشأ تبعاً لذلك تيارات تعمل على مناقشة هذه الأزمة و البحث عن سبل لتجاوزها، ومنها :

1.1 / فلسفة بيئية ذات توجه إنساني : يتبنى هذا التيار أطروحة الدفاع عن حماية البيئة، و يعتبر رواده أن الإنسان هو أسمى الكائنات، وكل ما في الطبيعة موجود لغاية واحدة هي تحقيق رفاهية وحاجيات هذا الإنسان فقط، وبالتالي الحفاظ على البيئة والحرص عليها، هو من جهة ثانية حرص على حماية الإنسان وبقاءه ضد تقلبات الطبيعة.

2.1 / فلسفة بيئية جذرية عميقة: تركز على نظرية مركزية الإنسان في الكون، حيث ينتقد هذا الإتجاه الإيكولوجي الحداثي و المركزية الذاتية للإنسان، ويدعو إلى شمولية الأخلاق البيئية لجميع الأجناس الحية و جميع مكونات الطبيعة، حيث يجب حسيهم إحترام جميع الكائنات الحية الأخرى والتعايش معها و مراعاة حاجياتها، بل و لما لا أيضاً الحديث عن حقوقها، ويتضمن هذا التيار مذاهب متعددة مثل المركزية البيولوجية، المركزية الإيكولوجية، و الإيكولوجيا العميقة، حيث مثلتها أطروحات " ألبرت شفايتزر 1965.1875 albert schweitzer " بفكرته عن تقديس الحياة، و " توم ريغان 2017.1937 tom regan " وهو الآخر يعطى الأولوية لمفهوم الحياة ، بالإضافة إلى " بيتر سنجر 1946 peter singer م " الذي يدافع عن حقوق الحيوانات، و أخيرا بول تايلور 2015.1923 paul w taylor " بطرحه القائل بضرورة إحترام الطبيعة إنطلاقاً من فكرة المركزية البيولوجية.

أ. موقف بول تايلور:

إنطوت أعمال بول تايلور على البحث عن تعزيز مكانة الكائنات غير بشرية في الطبيعة ، ومنحها القيمة التي تستحقها، فلا بد من إعادة النظر في المساواة بين الحقوق الإنسانية و الحقوق الحيوانية، كان هذا البحث التايلوري وريث عدة محاولات سبقتة وهي محاولات كل من الفيلسوف ألبرت شفايتزر الذي يدعو لإعادة

الإعتبار الأخلاقي لجميع الكائنات الحية، وذلك إنطلاقاً من فكرة مركزية عندة يتأسس عليها هذا الطابع الأخلاقي، وهي فكرة تقديس الحياة فالحياة نفسها، نعمتها تستحق منا كل الإحترام والإجلال والتقدير، ومن الواجب تجنب كل ما هو تعدي على الحق في الحياة لكل مخلوق من كل الأجناس، حيث يقول في مؤلفه فلسفة الحضارة أن "توقير الحياة لا يسمح للفرد أبداً أن يتخلى عن الاهتمام بشؤون الدنيا، بل يحمله حملاً على الاهتمام بكل حياة تقوم من حوله، وعلى أن يشعر بأنه مسؤول عنها" (ألبرت ، 1963 ، صفحة 403) ، فبالفعل الإنسان يجب أن يكون ذاتاً مسؤولة عن أفعالها، فكلما كان مسؤولاً كان أخلاقياً .

لقد أعطى شفايتزر مثلاً في أصغر المخلوقات، فلو رأى أحد في رأيه دودة على الطريق، لابد أن يعيدها إلى تربتها التي تحتاجها (evans, 2005, p. 25)، وهذا يعني أن فكرته عن تقديس الحياة تقتضي التعايش و التآلف بين الكائنات الحية بمختلف أجناسها وأشكالها، لأن الحياة قيمة مشتركة بينهم، فلا يكون الإنسان أخلاقياً حتى يعي بأن الحق في الحياة من حق الجميع الموجود على المعمورة، فالنظرية الأخلاقية المعقولة ينبغي أن تدرك أن المصالح غير بشرية أيضاً مهمة من الناحية الأخلاقية.

ب. موقف ريغان :

في كتابه حقوق الحيوانات وأخطاء البشر، يرى أننا مدينون بواجبات مباشرة تجاه الحيوانات، وينتقد النظريات القائلة بتفوق النوع البشري، فهو يساوي بين الحقوق الإنسانية والحيوانية، لأنها ذات صلة مشتركة، فكلاهما " يمتلك قيمة متأصلة و يشترك في الحق المتكافئ في المعاملة المحترمة " (regan , 2003, p. 95).

لقد حدد ريغان جملة من الحقوق الأخلاقية التي تمتلكها الكائنات الحية بأكملها على إختلاف أجناسها سواءاً الإنسانية أو الحيوانية، ولاسيما النباتية، وتتمثل في حق التكافؤ، حق عدم الحصول على فؤائد من إنتهاك حقوق الغير، وحق الإحترام،

حيث تقوم هذه الحقوق على إحترام قدسية الحياة لأن الحياة كما يقول " تضيء تماثلنا الأخلاقي ومساواتنا الأخلاقية، فنحن بوصفنا موضوعات للحياة كلنا موجودون في العالم نفسه، وندرك جميعاً ما في العالم، ونحن جميعاً بمنزلة الشيء نفسه، لأن ما يحدث لنا في العالم يهمنا، وما يحدث في العالم يهمنا، لأن ذلك يحدث فرقاً في نوعية حياتنا ومدتها، ونحن بوصفنا موضوعات للحياة فليس هناك أسى و أدنى ، ولا أعلى ولا أقل، فنحن جميعاً لنا إعتبارنا الأخلاقي، ونحن جميعاً متساوون أخلاقياً في الحقوق" (regan, 2013, p. 118 .121)، فكل الحيوانات ثدييات أو طيور، وكل الأسماك ، تفي بشروط النوع، فهي مثلنا في العالم مدركة للعالم ومدركة لما يحدث لها، لجسدها و حريتها وحياتها، وهذه الكائنات تشاركنا في الحقوق بما في ذلك معاملتها بإحترام (regan, 2013, p. 121).

إذن يعتبر الإحترام المبدأ الأساسي الذي يوجه الحقوق والقيم المتأصلة للحيوان والإنسان على السواء، فكل منهما موضوع للحياة، وإستخدام أحدهما كوسيلة لغايات متعددة ، يشكل إنتهاكاً لحقوقهم وأذى ألحق بها، فمن غير المعقول أن تكون الحيوانات التي تتألم وتموت على يد البشر كالحياتان و الطيور والأرانب لا تشعر بالأذى، فهي تشعر بذلك الأذى أثناء مقاومتها للموت والمرض (النشار ، 2015، صفحة 71) فالحيوانات ليست مجرد أشياء هي موضوعات كذلك ولها قيمتها ، ومن الواجب علينا الحد من إيذاءها.

ج. موقف بيترسنجر:

على الرغم من أن هناك حقوق و إمتيازات للإنسان لا يمكن أن يمتلكها الحيوان، كالعقلانية و الإستقلالية، والوعي وتحمل المسؤولية، لكن ذلك لايعني أن تسود العنصرية على الجنس الحيواني، فهذا الأخير يمتلك خصائص من حقه و هي الحصول على الغذاء، التكاثر والإدراك، فهي لها مصالح مثل البشر وبالتالي تحتاج إلى إهتمام ورعاية، لذلك من المستحسن الإقرار بمبدأ المساواة والتكافؤ في النظر إلى

الإهتمامات والمصالح، وبذلك فهي تثير الإعتبار الأخلاقي، ويجب " أن يمنح إعتبارها نفس المصالح والإهتمامات المماثلة لأي كائن آخر" (singer, 1987, p. 05)

يعتبر التكافؤ هو " المبدأ الأخلاقي الأساسي الذي يمكن أن يسمح لنا بالدفاع عن شكل من أشكال المساواة التي تشمل جميع البشر، مع كل الاختلافات الموجودة بينهم، وعلى الرغم من أن هذا المبدأ يوفر أساساً كافياً لتحقيق المساواة الإنسانية، فإنه يوفر أيضاً أساساً لا يمكن أن يقتصر على جميع البشر وحدهم، وطالما قبلنا بمبدأ المساواة بوصفه أساساً أخلاقياً سليماً للعلاقات مع الآخرين من نوعنا الخاص، فإننا ملتزمون أيضاً بقبوله بوصفه مبدأً أخلاقياً سليماً للعلاقات مع من هم خارج نوعنا" (singer, 1987, p. 05)، فالميزة التي تمنح للحيوانات هذه الأحقية الأخلاقية هي قابليته للمعاناة والألم أو الإحساس بالسعادة والفرح فالمبدأ الذي إعتد عليه سنجر هو المنفعة الذي ينص على تحقيق أعظم قدر من السعادة لأكبر عدد ممكن من الناس، ولما كانت الحيوانات قادرة على الشعور باللذة والسعادة وكذلك الألم مثل البشر تماماً فعلى البشر أن يأخذ ذلك بعين الإعتبار، وبالتالي لابد من إعادة النظر من الناحية الأخلاقية في عملية إستغلال الحيوانات في المأكّل والعمل، وحتى في ميدان البحوث العلمية كأخذها كعينات إختبار تجريبي.

كان هذا التفكير الأخلاقي للتعامل اللين مع الحيوانات ماثلاً في الحياة اليونانية، حيث كان فيثاغورث يرى في أكل لحم الحيوان ظلم لأنه سلب لحياته، فالحيوان هو الآخر له شعور وإحساس و يؤكد على ذلك أيضاً الفيلسوف اليوناني بورفيرى (porphyry 232 - 403) بأننا " ندين بالعدل للحيوانات، ليس فحسب لأنها عقلانية، بل لأنها كائنات واعية كونها تشعر بالألم والخوف " (taylor, 2009, p. 37)

يمكن القول أن الأطروحات الأخلاقية التي تناولناها والتي تسبق أطروحتنا الرئيسية لبول تايلور طفى جهدها لأفق الإنسانية وأخلاق الأرض والبيئة التي تحتاج

الوثام والتشارك بين كل المخلوقات ليسود الإنسجام والعيش الجيد، بالفعل سددت خطوات وطفرات في تفعيل الحاجة إلى أخلاق جديدة، رغم ذلك لم تقدم حلولاً وضعية للمشكلات التي برزت إبانها، وبقيت معاناة الحيوان و الكائنات غير بشرية ترهب من الإنسان و ترى فيه العدو اللدود لها.

2. بول تاييلور من المركزية الإنسانية نحو المركزية البيولوجية:

من غير شك أو ريب فإن الحداثة كانت المرحلة التي تحول فيها الإنسان من كائن مطيع إلى سيد و مالك، حيث تمكن من الخروج من سيادة الكنيسة في القرون الوسيطة، ليكون عصر الأنوار الطفرة التي خرج فيها من الظلام إلى النور، حيث يعرف كائن هذه الفترة بالجرأة على إستعمال العقل، وحين تجرأ الإنسان على التفكير والنقد إستطاع فعلاً الخروج من حالة القصورو الوصاية، وتطلع لمستقبل كان فيه هو السيد والمسير، وكان رونييه ديكارت (1650 . 1596) أبو الفلسفة الحديثة ومؤسس الكوجيتو الذي يؤكد على حرية الإنسان في أفعاله و أقواله، فمادام التفكير هو دليل وجود الإنسان، فهو حر و فردي ومستقل على كل ماسواه من القوى.

تنامت المركزية الإنسانية مع ديكارت، كانط و هيجل ومعظم فلاسفة الفكر الأوروبي الحديث، لكن المؤسف أن شعارات الحداثة التي حملها الإنسان تحت مسميات الحرية والمساواة والفردية التي أوصلت بهذا الإنسان لأرقى حالات التقدم كما شهدنا ذلك من خلال الثورات الاقتصادية، والتقدم الرقعي والتكنولوجي وأخيراً التطورات في مجال الأجنة والخلايا الإنسانية، سرعان ما إنقلبت ضده، فتراجعت مكانته المركزية، لتحل محله الآلة المصنوعة تحت يديه، ويصير هو عبدها، هذا من جهة .

ومن جهة أخرى، أصبحت علاقة الإنسان مع الطبيعة التي كان يهاجمها و يتخوف منها علاقة تملك و سيطرة إلى درجة الإستغلال و النهب اللاعقلاني، فنجد

يستهلك موارد الطبيعة، و يستغلها في التجارب و يمارس عليها مختلف الأشغال دون الإكتراث بأحقيتها في الحياة أو النظر مدى مشروعية ذلك، وبالتالي تضخمت المشكلات الأخلاقية وصارت تعبر عن أزمة خانقة تهدد كيان الأجناس الحية بما فيها الحيوانات والإنسان نفسه، لذلك يسعى بول تاييلور لإعطاء بديل للمركزية الإنسانية التي لاحت مخاطرها في الأفق، والبحث عن مركزية أخرى ، تمثلت في المركزية البيولوجية ، فماهي المركزية البيولوجية و تداعياتها؟ وإلى أي مدى يمكن إعتبارها بديل لائق و إستعارة عقلانية عن المركزية الإنسانية؟

المركزية البشرية أعلت من شأن البشر على حساب الطبيعة، بمعنى أنها أعطت له حق السيادة والتصرف في الطبيعة ومخلوقاتهما، ولكن بول تاييلور قد عكس ذلك، وصاغ فكرة بديلة تتمثل في المركزية البيولوجية، بحيث تُلزم هذه المركزية الإنسان بالتزام أخلاقي يخص النباتات والحيوانات بوصفهم أعضاء في مجتمع الأرض فالإنسان ملزمون خلقياً " بحماية خيرها الخاص وتعزيزه لأجل ذاتها فحسب" (مايكل ، 2006، صفحة 112) والمقصود هنا حماية الطبيعة .

تتأسس المركزية البيولوجية أولاً على كون الإنسان عضو من أعضاء المجتمع الأرضي، ولا خلاف بينه وباقي الحيوانات في العضوية، فلا يوجد شيء في الهامش، يقول مؤكداً على ذلك : " إن البشر هم أعضاء في مجتمع حياة الأرض، بالمعنى نفسه و بالشروط نفسها، التي تكون الكائنات الحية الأخرى أعضاء في ذلك المجتمع " (paul, 1981, p. 152)، وبالتالي فالإنسان سواسية مع الكائنات الحية من ناحية المتطلبات البيولوجية المشتركة للبقاء على قيد الحياة، والحياة السعيدة، كما يشتركون في الحرية، جميعهم في حاجة للبعض .

المعتقد الثان للمركزية البيولوجية يقر بكون " الجنس البشري يقف جنباً إلى جنب من جميع الأنواع الأخرى، فهي عناصر لا تتجزأ في نظام مترابط و متماسك،... فرصة إمكانية بقاء كل الأشياء الحية لا تتوقف فقط على الشروط الطبيعية، ولكن

تعتمد أيضاً على علاقاتها مع الأشياء الحية " (paul, 1981, p. 303)، فالكائنات لا تربطها علاقات تشابه في الحقوق الطبيعية، بل تحكمها علاقات وظيفية تبادلية. أما اللحظة الأساسية الثالثة في أطروحة المركزية البيولوجية مفادها أن " جميع الكائنات الحية هي مراكز غائية في الحياة، بمعنى أن كل كائن حي فردي، يسعى نحو تحقيق خيره الخاص بطريقته الخاصة " (paul, 1981, p. 153)، بمعنى ، كل منها يشكل منظومة متماسكة من النشاطات ذات الطابع الهديفي و المتوجه نحو حفظ ذواتها و تحقيق مصالحها.

كما يعتبر بول تايلور أن الإنسان لا يعلو ويسمو على الكائنات الأخرى، وقيمته لا تزيد عن قيمة الكائنات الأخرى، على الرغم من بعض مميزات البشر كالعقلانية والأخلاق وغيرها، فلا يعني ذلك أن الكائنات الأخرى تفتقر لها، بل هي كذلك تمتلك خصائص وصفات متميزة يفتقر إليها البشر، مثل السرعة عند الفهود الشجاعة عند الأسود، الذكاء عند الشامبانزي، لذلك " ففكرة التمرکز حول الذات الإنسانية فكرة تعسفية من الناحية الأخلاقية، أما وجهة نظر المركزية البيولوجية فهي تنظر إلى كل الكائنات الحية على أنها لها قيمة أخلاقية متأصلة و متساوية " (darwin , 1981, p. 105).

3. قواعد السلوك الإنساني تجاه الطبيعة وفق بول تايلور:

لقد وضع بول تايلور مجموعة من القواعد يتم بواسطة إتباعها ضبط سلوك الأفراد تجاه الكائنات الأخرى وهي :

3. 1 / قاعدة عدم الإيذاء THE RULE OF NON MALEFICENCE

تنص هذه القاعدة على أنه ينبغي أن نعمل بطريقة لا تلحق الشر أو تسبب ضرراً للآخرين وتحديداً ينبغي ألا نسبب ضرراً يمكن تجنبه أو متعمداً، ويقصد عموماً بعدم الإيذاء بـ "عدم إلحاق الضرر بالآخرين" (barcalow, 2007, p. 18) أيأ ماكان ذلك الضرر .

تتسع دائرة قاعدة عدم الإيذاء، لتشمل جميع الكائنات غير بشرية، حيث يقول في ذلك : " هو واجب يقتضي عدم إلحاق الأذى أو الضرر بأي كائن حي، في البيئة الطبيعية التي تمتلك خيرها الخاص من تلقاء نفسها، ويتضمن هذا الواجب عدم قتل أي كائن حي وليس فقط تدمير أو هدم موانئها الطبيعية، أي مجتمعاتها، وكذلك يتضمن الإمتناع عن أي فعل من شأنه أن يضر أو يؤدي خير الكائنات الحية، أو مجتمع الأنواع أو مواطن الحياة للكائنات الأخرى " (paul, 1981, p. 153) ، ويعطي مثال لذلك يكمن في إصطياد الصقر من قبل الصياد .

يجب على الإنسان أن يتحلى بالأخلاقية تجاه الأجناس الأخرى، لأن "الأخلاقية صفة تتعلق مباشرة بالطبيعة الإنسانية، كما أن علم الأخلاق ليس شيئاً له ميدان منفصل، ولكنه معرفة مادية بيولوجية تاريخية، وضعت في محتوى إنساني حيث تضيء نشاط الإنسان وترشداه " (ديوي ، 2010 ، صفحة 310.309) وقد أكد ذلك أيضاً طه عبد الرحمان؛ حيث جعل من الأخلاقية الصفة التي تميز الإنسان عن الحيوان، وإعتبرها الأصل الذي تتفرع منه كل الصفات، حتى العقلانية فهي تابعة لهذا الأصل.

2.3 / قاعدة عدم التدخل / الإعاقة : the rule of non interference

تفترض هذه القاعدة الكف عن فرض قيود على حرية الكائنات الأخرى، وتعني القيود أية شروط تكبح أو تعيق النشاط الطبيعي والنمو الصحي للحيوانات أو النباتات، فالكائن حر طالما تنعدم القيود، ومن بين هذه القيود الفخاخ و المصائد، الأمراض و المواد الكيميائية السامة، ندرة الماء و الغذاء، الإصابات والعجز، فالقيود التي يفرضها البشر على هذه الأنواع من الكائنات الحية إذا كانت " عن علم، فنحن متهمون بانتهاك قاعدة عدم التدخل / الإعاقة " (paul, 1981, p. 154).

فلا بد من ترك الكائنات الحية تعيش في موانئها الطبيعية، حتى ولو أخرجناها بسبب الخوف عليها من المرض، أوالخطر الطبيعي، يعتبر تعدد على القاعدة، فمثلا:

نقل نباتات من البرية إلى الحديقة بالرغم من الإعتناء بها، إلا أن ذلك تجاوز لقاعدة عدم التدخل، فهذا السلوك المرتكب من طرف الإنسان يعد خطأ لأنه مساس و إزعاج لها بالعيش حياة طبيعية بحرية تامة، بمعنى " يجب ألا نحاول التلاعب أو التأثير أو التغيير أو إدارة النظم الإيكولوجية الطبيعية، أو التدخل لإحداث تغيير بطريقة أو بأخرى في آدائها الطبيعي " (paul, 1981, p. 155)

من الواجب الإلتزام بقاعدة عدم التدخل حسب تايلور، ولابد أن نبدي إحتراماً عميقاً لسلامة النظام البيئي، حتى ولو تعرض النظام البيئي لكوارث طبيعية مثل الزلزال و الفيضانات، وغيرها فنحن وفقاً للقاعدة ملزمون دائماً بعدم التدخل في محاولة إصلاح الضرر و التلف الذي وقع، لأن هذا الموقف يعتبر إحترام للطبيعة، حيث " إننا بذلك نعطي التقدير التام لعملية التغيير التطوري التي كانت قصة الحياة على الأرض منذ بدايتها " (paul, 1981, p. 156) ، فإحترام الطبيعة يعني الإيمان بأن لا شيء خاطئ في الطبيعة، و مختلف التغيرات من كوارث و إنقراض للحيوانات وغيرها لا يدل على إختلال في النظام فهذا من المستحيل.

تضيف قاعدة عدم التدخل عدم التحيز لأنواع معينة من الكائنات، مثل التمييز بين الحيوانات المفترسة والأليفة والعطف على أحدهما دون الأخرى، يقول: " إذا قبلنا نظرية المركزية البيولوجية وأصبح لدينا إحترام حقيقي للطبيعة، فلا بد من أن نلتزم الحياد بشكل صارم بين المفترس والفريسة، بين الطفيلي والمضيف " (paul, 1981, p. 157)، فتايلور يرفض بتاتا تمييز أي حيوان عن الآخر سواء أكان قريب أو بعيد، لأن ذلك لا يتفق مع الافتراض الأساسي لموقف إحترام الطبيعة، الذي ينص على أن كل الكائنات الحية لها نفس التأصيل الأخلاقي دون أي إستثناء.

رغم ما في هذه الرؤية التايلورية من صحة و معقولية، إلا أن الكثير من الفلاسفة خالفوه في الرؤية، فلو نأخذ مقاربة توماس هوبز، نجده يرى أن الكائنات الحيوانية كائنات لا عقلانية، ولا يمكنها إجراء تعاقدات، وبالتالي لم تدخل في أي إتفاق

بينها والبشر، لكبح السلوكيات المتبادلة بين الطرفين، بل مازالت علاقات الصراع و الحرب هي الحاكمة، كما أن الهائم حسبه لا تخضع لأي مبدأ يجعلها تمتنع عن أذى أو قتل الجنس البشري، والأمر نفسه بالنسبة للإنسان لا يوجد سبب يمنعه من قتل البهيمة، ويمكن له ممارسة أي نشاط قد يمس بحياة الحيوانات ويهددها من أجل تحقيق أهدافه المرنوة. (taylor, 2009, p. 43)

3.3 / قاعدة الثقة : the rule of fidelity

تتوقف هذه القاعدة على أهمية الحفاظ على الثقة التي يضعها فينا الحيوان أو الكائن الآخر وعدم كسر هذه القيمة الأخلاقية، حيث تتجلى هذه الثقة في الأفعال الأخلاقية تجاههم أين تجعلهم يشعرون بتلك الثقة، و يبادلون ذلك بالثقة فينا، وبالتالي فهذه القاعدة تنص على " أن نظل مخلصين لهذه الثقة التي وضعها فينا الحيوان " (paul, 1981, p. 157) ، ومن أمثلة الخداع التي قد يمارسها البشر إزاء الحيوانات و يكسر بذلك حاجز الثقة بينهما عمليات الصيد أو الحبس، فتكون بذلك هذه السلوكيات اللاأخلاقية الضارة تعدي على الإلتزام الأخلاقي لإحترام الطبيعة، فيجب إدانتها، ولا يمكن تبريره إلا من خلال واجب مبدأ أولوية الصلاحية الأخلاقية، يتمثل العذر الأخلاقي هنا في الصدق كما يقول بذلك " وليم ديفيد روس w. d. ross (1877 . 1971) ، فالبديل الممكن لعدم الإلتزام بالثقة، هو واجب ظاهر الصدق لأنه أكثر ضرورة كلما تعلق بإنقاذ حياة إنسان (ألفريد ، 1997 ، صفحة 133)، حيث تتحقق هنا أولوية الصلاحية الأخلاقية .

يضرب تاييلور أمثلة عن كسر قاعدة الثقة، فعندما يذهب صياد للبحث عن الدببة أو الغزلان مثلاً: فإنه سيسير في الغابة بهدوء شديد و بطريقة خفية قدر الإمكان، ويستخدم نداء كاذب أو زائف، والهدف من ذلك هو الحصول على نطاق قريب للرماية من الثدييات والطيور، وهذا الموقف يتضمن السعي لقتل الحيوان ، وهنا

الصياد كسر قيمة الثقة، أي إنتهك قاعدة إحترام الطبيعة وقاعدتي عدم التدخل و الإيذاء.

كما يجيز تايلور كسر قاعدة الثقة في حالات معينة كأن يكون الهدف هو حماية الحيوان من الخطورة اللاحقة به، كأن يغير مكان عيش الدب من منطقة إلى منطقة بغية إبعاده عن خطر محقق به، أو مساعدة حيوان مقبل على الموت أو مريض فهنا يمكن التدخل، أو كأن يتم القبض على فصيلة من الطيور المهددة بالإنقراض للحفاظ على بقاء نوعها (paul, 1981, p. 158)، فهذه الإستثناءات مسموحة حسب تايلور بحسب الغاية الأخلاقية المحمودة.

3. 4 / قاعدة العدالة التعويضية the rule of restitutive

تتضمن هذه القاعدة وجوب التعويض للضحية بالضرر الملحق بها من طرف الشخص المعتدي، و إلزامية إصلاح الضرر أو دفع تعويض، كما يمكن تقديم إعتذار أخلاقي عن الأفعال الضارة التي تسبب فيها (daniel, 2006, p. 358). الغرض من التعويض هو إستعادة العدالة بين الفاعل الأخلاقي والموضوع الأخلاقي، فعندما ينتهك الفاعل قاعدة أخلاقية معينة، فقد أحدث خللاً على مستوى العدالة التعويضية، والسبيل لإعادة هذا التوازن إلى حالته الصحيحة هو التعويض أوالإصلاح، أوالإعتراف .

إذن يتوقف السلوك الأخلاقي تجاه الكائنات الحية على ألا يضر البشر المخلوقات الأخرى أو يدنو من مواطنها البيئية و يدمرها، فمن الواجب عدم التدخل في حرية الحيوانات و النباتات، والعمل على الحفاظ على الثقة المتبادلة بين الطرفين، بالإضافة إلى الإلتزام بمبدأ عدم التحيز والمساواة بين الأنواع، بحيث يتعامل مع كل موضوع أخلاقي بوصفه غاية في حد ذاته، وليس مجرد وسيلة، ويبدو هنا تايلور متأثراً بالمبدأ الواجبي الكانطي القائل: " إفعل بحيث تعامل الإنسانية في شخصك و في شخص كل إنسان سواك بوصفها دائماً وفي نفس الوقت غاية في حد ذاتها، ولا تعاملها

أبدأ كما لو كانت مجرد وسيلة " (كانط، 2002، صفحة 108 . 109) ، فكانط يطبقها على الإنسان العاقل، أما تايلور كما يبدو يوسع من القاعدة الغائية الكانطية لتضم جميع الكائنات الحية، وأن تعامل جميعها بوصفها غايات في ذاتها. وفي حالة تصادم المبادئ أو القواعد التي سبق ذكرها، و أصبحت القضية قضية حيرة، فإنه من المستصاغ أن نتبع الأولوية الأخلاقية، وقد أبرز تايلور هذه المبادئ ذات الأولوية في الحالات المتكافئة و الإستشكالية وهذه المبادئ تتمثل في :

أ. مبدأ الدفاع عن النفس the principle of self defense

الدفاع عن النفس بالقتل أو التعدي، مباح حسب تايلور في حالة الضرورة لإنقاذ الحياة الخاصة (yitzhak, 2005, p. 586)، وقد كان ذلك مثار جدل للكثير من الفلاسفة أمثال الفيلسوفة الأمريكية جوديث تومسون judith thomson 1929، وريتشارد ميلر richard b miller الذي يقول : " إذا كان للمرء الحق في الدفاع عن نفسه من العنف، فينبغي أن نسأل عما إذا كان هذا العنف أو التهديد عن طريق الخطأ أو عرضيا أو معتمداً " (richard, 2009, p. 132) ، كل هذه النقاشات تدور حول ضرورة عدم إلحاق الضرر بالحيوان و أحقيته في الدفاع عن نفسه.

لكن السؤال المطروح: كيف يحمي الإنسان نفسه من الحيوان المفترس و الذي يؤذيه؟ هل في هذه الحالة يحق له رده و قتله دفاعاً عن حياته ؟، يجيب تايلور أنه " يجوز للفاعلين الأخلاقيين حماية أنفسهم من الكائنات الضارة عن طريق إبادة أو تدميرها، ولكن هذا لا يحدث إلا في حالة عدم إستطاعة الفاعلين الأخلاقيين إستخدام وسيلة معقولة تجنبهم التعرض لهذه الكائنات، ولا يمكن منعها من إلحاق أضرار جسيمة بهم " (paul, 1981, p. 264.265)، ويعني ذلك أن للإنسان الحق في الدفاع عن نفسه بالإبادة أو القتل في حالة إستثنائية، تتمثل في عدم وجود وسائل عقلانية لتجنب ذلك، في هذه الحالة يمكن له و يسمح له الأذى بمبرر الدفاع عن النفس.

من الواجب أيضا أن تكون الوسيلة المستخدمة هي التي ستكلف أقل ضرر ممكن، كما ينبغي أن لا يكون هناك بديل أقل ضرر لأنه حسب تعبير أرسطو طاليس (384 ق م. 322 ق م) " الضرر الأصغر بموازاته مع الضرر الأكبر يمكن أن يعتبر نفعاً، و الضرر الأصغر مفضل على الضرر الأكبر، وماهو محل للتفضيل، إنما هو دائم النفع، وكلما كان الشيء مفضلاً كان النفع أكثر " (أرسطو، 1942، صفحة 71). ليس هناك إختلاف بين مبدأ الدفاع عن النفس في الأخلاق الإنسانية والأخلاق الإيكولوجية، فإذا كان لدينا الحق الأخلاقي في الحياة، فإن ذلك يعني أننا نمتلك حقاً أخلاقياً لحماية أنفسنا بوسائل قوية إذا لزم الأمر، عندما تتعرض حياتنا للتهديد من جانب الآخرين، فقد يكون فعل قطع الأزهار أو الدوس عليها دون سبب أكثر من قتل شخص للدفاع عن النفس، فكلاهما فعلا ناطئان على حد السواء من الناحية الأخلاقية، لكن الفعل الأول يعتبر تدمير معتمد لشيء في حياة البرية، لذلك يعد فعلاً أكثر إستنكاراً وإستهجاناً من الفعل الثاني .

ب. مبدأ التناسب : the principle of proportionality

مبدأ التناسب في الأخلاق الإيكولوجية يطبق في حالة نزاع المصالح بين الكائنات البشرية وغير البشرية، ويميز بين نوعين من المصالح الأساسية و غير أساسية، فالأولى تتعلق بالأشياء التي تمثل جزء أساسي من وجودنا بوصفنا أشخاص، فهي " ما يعنيه الناس العقلانيون والمستنيرون ، ... وهي ما يحتاجونه لكي يصبحوا قادرين على تحقيق الأهداف و الغايات التي تجعل الحياة ذات مغزى، وجديرة بالإهتمام " (paul, 1981, p. 272) ، ويمكن عدها كالتالي : الحق في الأمن، الحرية، إستقلال الذات، الإعاشة.

أما المصالح غير الأساسية فهي غايات جزئية، وبالتالي غير مشتركة بين الجميع خلافاً للمصالح الأساسية المشتركة، فتتعارض مصالح الحيوانات والنباتات الأساسية مع المصالح غير الأساسية للبشر، إذ ينجر عنها إستغلال غير عقلاني للطبيعة، حيث ينظر إلى مصادر الطبيعة على أنها وسائل للمتعة، و يمكن التلاعب بها وفق الحاجة

الإنسانية، وإنطلاقاً منها يمكن اعتبار البناء في الأماكن الزراعية تهديد و مساس بالحقوق النباتية و الحيوانية، إستغلال السدود، أو إنشاء الحدائق، والحل الأوسط الذي يقترحه تاييلور يتمثل في إعطاء وزن و أولوية للمصالح الأساسية المشتركة بين الإنسان و الحيوان و النبات.

ج. مبدأ الحد الأدنى من الخطأ : the principle of minimum wrong

ينص على الحد من الخطأ عندما يكون الأشخاص العقلانيون والمستنيرون والمستقلون ذاتياً الذين إعتدوا موقف إحترام الطبيعة، غير مستعدين للتخلي عن نوعي القيم المذكورة القيم الجوهرية والمتأصلة"، فلا بد من سلوك الطريقة التي تنطوي على أقل عدد من الأخطاء أو الإنتهاكات من خلال البحث عن سبل بديلة و يسيرة.

هذا المبدأ يضمن أقلية الضرر من كله، للحفاظ على السلامة الإيكولوجية في البيئة لما لها من قيم و مآثر، فلا بد من ضبط الممارسات الإنسانية من أجل الحفاظ على علاقة صحية مع النظام البيئي العالمي، وقد أشارت إلى هذه النزعة الكلاسية نزعة أخلاق الأرض التي تستلزم إحترام أعضاء الأرض ككل، يعبر عن هذا التكامل ألدو ليوبولد (1948.1887) ، قائلاً: " إذا تصورنا أنفسنا أعضاء في كوكب الأرض وليس كمستفيدين أو مستهلكين أو مستغلين أو مشرفين، عندئذ سنعتبر جميع أعضائها يستحقون إهتمامنا و إعتبارنا، ... فكلنا زملاء مشاركون في النظام البيئي لكوكب واحد هو منزلنا " (paul, 1981, p. 324).

د. مبدأ العدالة التوزيعية : the principle of distributive justice

يوفر مبدأ العدالة التوزيعية معايير لتوزيع العادل ، لتحقيق المصالح و المنافع بين جميع أطراف النزاع.

خاتمة :

إن الأزمات البيئية المعاصرة، أوضحت في حاجة لرؤية جديدة تنبع من تربة البيئة نفسها، لأن الرؤى التقليدية لا تملك القدرة الكافية على إصلاحها، نظراً للميزات التي يتميز بها الإنسان المعاصر و البيئة التي تحويه ، فالواقع التقني و الأدوات أفرز تداعيات من فئة جديدة ، ينبغي كما قلنا إعادة التنظير للمشكلات الناجمة عنها ، والبحث عن السبل الكفيلة بتعزيز قدرة الإنسان على مواجهة الخطر البيئي، و أخلقة علاقاته المضطربة مع الكائنات الأخرى.

.تمثل فكرة المركزية البيولوجية التي جاء بها بول تاييلور رؤية فلسفية جديدة، تتوقف هذه الرؤية على ضرورة الإنسجام والتوافق بين الكائنات الحية والإنسان، و الأخلاقيات الواجب أن تحكم هذه العلاقة بينهم بالمساواة والعدالة وتكافؤ المصالح، و الحفاظ على الحقوق الطبيعية بينهما، من أجل مجتمع أرضي سليم و آمن ، خالٍ من الخوف و الخطر.

.تركز الفكرة التاييلورية على إعادة الإعتبار الأخلاقي للأجناس غير البشرية، التي يجد أن لها نفس خاصيات الجنس البشري، ولها الحق التام في الحياة و الحرية و الأمن كونها حساسة و وواعية ، ولابد من النظر إليها نظرة غائية .

.من أجل تحكيم الروابط بين الإنسان و الطبيعة ، وإعادة التوازن بين الطرفين بعدما كان الإنسان مسيطر عليها، وضع بول تاييلور مجموعة من القواعد تحكم السلوك البشري تجاه الطبيعة و هي : قاعدة عدم الإيذاء، قاعدة عدم التدخل، قاعدة الثقة، قاعدة التعويض، ولكل قاعدة مجموعة من الإلتزامات الإستثنائية في الظروف النسبية و المختلفة.

.كما يضيف مجموعة من المبادئ التي يلجأ إليها محكم العلاقة في حالة تجاوز القواعد المذكورة، أو في حالات إستثنائية معينة و الأولويات عند تصادم المصالح ، تمثلت في : مبدأ الدفاع عن النفس، مبدأ التناسب، مبدأ الحد الأدنى ، مبدأ العدالة التوزيعية.

إن إحترام الطبيعة يعتبر رؤية فلسفية أخلاقية جديدة بالإهتمام ، لأنها بمثابة موقف تعاطفي وجداني للإحساس بالأسؤولية تجاه البيئة التي يجب علينا الحفاظ عليها، بما فيها من كائنات و ثروات حيوانية و نباتية، و النظر لهذه الثروات كأخر يستحق الإحترام و التقدير لما يمدنا من منافع، و الإقرار بحقوقها المختلفة في الحياة و الأمن و الرعاية ، لأن حمايتها و إحترامها ينمي العلاقة التواصلية التكاملية بين الطرفين، و بالتالي يراهن على بيئة آمنة و سليمة، خالية من الأخطار و المزالق الإيكولوجية التي تهدد الجنس البشري قبل الأجناس الأخرى، وأخذ هذه القواعد بعين الإعتبار من شأنها أن تصالح و تقوي علاقات الإنسان ببيئته و تنبئنا بحياة بيئية مستقبلية زاهرة.

قائمة المراجع :

- barcalow emmette, (2007). moral philosophy theories and issues. new york: thomson wadsworth.
- daniel but . (2006). nation overlapping generations and historic injustice. *american philosophical quarterly*, 43(4).
- darwin charles (1981). the descent of man and selection in relation to sex. london : the thinkres library .
- evans claudie (2005). with respect for nature living as part of the natural world. new work: university of new work.
- paul taylor. (1981). frankena on environmental ethics. *the monist*, 46(03).
- paul taylor (1981). the ethics of respect for nature in environmental ethics. usa: university of georgia.
- regan tom . (2003). animal rights human wrongs an introduction to moral philosophy. new work: rowman and littlefield publishers.
- regan tom (2013). animal rights and environmental echics . france: springer.
- richard b miller . (2009). killing,self defense, and bad luck. *the journal of religious ethics*, 37(01).
- singer petre. (1987). animal liberation or animal rights. *the monist*, 70(01).
- taylor angus . (2009). animal and ethics an overview of the philosophical debate. (3 ed). canada: broadview press.

yitzhak, benpaji (2005, 12). culpable bystanders innocent threatens and ethics of self defense. *canadian journal of philosophy*, 35(04).

أشفيستر ألبرت، (1963)، *فلسفة الحضارة*، (المترجمون: عبد الرحمان بدوي) القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف.

إيمانويل كانط، (2002)، *تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق*، ط1. (المترجمون: بدوي عبد الرحمان، وعبد الغفار مكاوي) كولونيا: منشورات الجمل.

إيونج ألفريد، (1997)، *مقدمة في فلسفة الأخلاق*، (المترجمون: مدين محمد) القاهرة: دار الثقافة للنشر.

ديوي جون (2010) *الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني*، ترجمة محمد لبيب النجيجي، سلسلة ميراث للترجمة، العدد: 2681، القاهرة، المركز القومي للترجمة، القاهرة.

طاليس أرسطو، (1942)، *علم الأخلاق إلى نيقوماخوس*، ج2. (المترجمون: السيد لطفي أحمد) القاهرة: دار الكتب المصرية.

مايكل زيمرمان (2006) *الفلسفة البيئية من حقوق الحيوانات إلى الإيكولوجيا الجذرية*، ج1. الكويت: عالم المعرفة.

مصطفى النشار، (2015) *مدخل إلى فلسفة البيئة والمذاهب الإيكولوجية المعاصرة*، (ط2)، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.